

# محطات في تاريخ الترجمة الشفهية

بن غبريد ياسين

معهد الترجمة - جامعة الجزائر 2

## Abstract

This article is a study on the role played by interpreters who, throughout history, have been indispensable mediators between speakers of different languages. Indeed, their role has always been key in order to ensure communication between human beings. Interpreters have enjoyed special status, as different and varied as peoples and languages, given this very role played in the political, military and commercial sphere and their contribution to the diffusion of languages and religions.

This article also addresses the various stages of the development of interpretation in terms of time and space with a special focus on Paris Peace Conference marking, with the emergence of the most important international organizations and bodies between the two world wars and the creation of their own interpretation services, the beginning of interpretation as a profession. Over time, simultaneous interpretation, identified with the "Nuremberg" trials, made its appearance and became the favorite type of interpretation for many international organizations that hold meetings in different languages given the shortened time and the number of working languages it offers at the same time.

## Key words:

Interpreter, conference interpreting, history

## ملخص

يتناول هذا المقال دراسة تاريخية حول الدور الأساسي الذي اضطلع به المترجمان عبر التاريخ بصفته وسيطا لا غنى عنه بين المتحدثين بلغات مختلفة قصد تحقيق عملية الاتصال والتواصل بين بني البشر. هذا الدور أكسب المترجمان مكانة خاصة، تباينت بتباين الشعوب واللغات، بالنظر إلى ما لعبه من دور في المجال السياسي والعسكري والتجاري وإلى إسهامه في نشر اللغات والديانات.

كما يتناول هذا المقال مختلف مراحل تطور الترجمة الشفهية من حيث الزمان والمكان، مسلطين الضوء على مؤتمر باريس للسلام باعتباره أهم بؤادر تنظيم مهنة الترجمة الشفهية التي باتت، بظهور أهم الهيئات الدولية خلال الحربين العالميتين واستحداث مصالحها للترجمة، حرفة ومهنة مستقلة بذاتها. وبمرور الوقت ظهرت الترجمة الفورية، التي اقترن تاريخ ميلادها بمحاكمات "نورنبيرغ"، حيث باتت الصيغة المفضلة لدى العديد من المنظمات الدولية التي تعقد اجتماعاتها بلغات مختلفة بالنظر إلى اختصارها للوقت وتمكينها من استعمال العديد من لغات العمل في الوقت نفسه.

## مقدمة

تعتبر اللغة من أهم معالم تحديد الهوية، فهي أحد العناصر الأساسية المحددة لأوجه الائتلاف والاختلاف بين الشعوب والأمم. ومما لا شك فيه أن الحاجة إلى الترجمة بمفهومها الواسع لم تظهر إلا بعد ظهور هذه الفوارق اللغوية. وفيما يتعلق بالترجمة الشفهية بوجه التحديد، برز التساؤل حول بداياتها التي لم تحظ من الناحية التاريخية بال العناية الكافية. ويُرجع البعض سبب ذلك إلى طبيعة العملية نفسها، إذ لم يكن من المستطاع الاحتفاظ بما هو منطوق في سجل مكتوب، على خلاف الترجمة الكتابية.

ومهما كانت دواعي تعدد اللغات واختلاف الألسن وظروفها، وأيا كانت اللغة الأم التي نطق بها أول إنسان على وجه الأرض وموطنها، يبقى الأهم أن الترجمة الشفهية لم تكن لتنشأ وتتطور عبر التاريخ في ظل غياب التعدد اللغوي وحاجة الإنسان للتواصل مع أخيه الإنسان الناطق بلسان مغاير.

## الترجمان عبر التاريخ

كان "هيرودوت"<sup>1</sup> (Herodotus) أول من ذكر التراجم في كتابه المترجم إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان (Histories)، حيث كتب عن التراجم المرافقين للفراعنة وملوك الفرس أثناء استقبالهم الرسل والسفراء. أما عن قدامى الإغريق، فيروي أنهم استعانوا بالتراجم بشكل كبير، حيث لم يكن الترجمان آنذاك مجرد وسيط لغوي لإتمام الصفقات التجارية فحسب، وإنما كان يشبه بالإله لتعدد مواهبه وقدراته اللسانية. كان طلب

1. أو "هيرودوتس" مؤرخ إغريقي اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها وأناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان، عُرف باسم "أبو التاريخ" (حوالي 484 ق.م - 425 ق.م).

الإغريق على التراجم كبيرا بسبب نفورهم من اللغات الأجنبية، وذلك لاعتقادهم بأن تعلم لغات غيرهم من الشعوب، وبخاصة منها تلك التي كانوا يخضعونها لسيطرتهم عن طريق الغزو، هو مسّ بكرامتهم ومنزلتهم.

كان التجار والجيوش في "قرطاجة"<sup>1</sup> يستعينون بالتراجم أيضا، حيث ما زالت هناك بعض السجلات التي تتحدث عن الدور الذي اضطلع به التراجم في "قرطاجة" في الفترة الممتدة بين القرن الخامس والقرن الأول قبل الميلاد حين كانت الإمبراطورية مكونة من عشرات الأعراق المختلفة يتحدث كل عرق منها بلغة خاصة به، مما جعل الاستعانة بالتراجم أمرا ضروريا. كان التراجم في تلك الحقبة يحظون بالاحترام الكبير والتقدير لدرجة أنهم كانوا يعفون من الخدمة العسكرية ومن الضرائب أيضا.

أما الساسة الرومان فكانوا يحبذون حضور التراجم إلى جانبهم، حتى وإن كانت خدماتهم غير ضرورية أو ثانوية، بغية إظهار تفوق العرق الروماني. غير أن تحكّم التراجم في اللغات الأجنبية ساوى بينهم وبين العرافين والكهنة الذين يتواصلون مع الأرباب، وأصبحوا يشبهون بالمداوين الذين يتمتعون بالقدرة على التواصل مع العفاريت قصد معالجة العلل. كما أن الترجمة الشفهية لم تكن تحظى بالاعتبار الكبير لدى قدماء الرومان لانعدام ثقنتهم في التراجم. بمرور الوقت، باتت الإمبراطورية الرومانية فريدة من نوعها في تثمينها للغات الأجنبية وتجليها باعتبارها أول إمبراطورية تقرّ مبدأ ازدواجية اللغة وذلك بتمتّع اللغة اللاتينية واللغة اليونانية بنفس المكانة والمنزلة في المدارس، مما فتح المجال أمام التراجم لتبوؤ المناصب السامية والدرجات العالية في كنف المجتمع الروماني.

1. مدينة ودولة قديمة في شمال إفريقيا تقع شمال شرق تونس الحديثة. أنشأها الفينيقيون في القرن التاسع قبل الميلاد.

في القرون الوسطى تعزّز دور التراجم وبرز بشكل أكبر بتحوّلهم إلى محترفين يحظون بالإعجاب والاحترام الكبيرين لمهاراتهم الفذة، مما أدى إلى ترفيتهم إلى رتبة "رجال الحاشية". وقد اضطلعوا بدور كبير أثناء مفاوضات السلم والحرب، ولم يكن يستغنى عن خدماتهم في أي من الرحلات التجارية أو البعثات الدينية، فرجال الدين - باختلاف اعتقاداتهم - أقاموا في العديد من الأراضي بهدف تعليم دياناتهم ونشرها، وهو عامل ساهم في توسّع رقعة الترجمة الشفهية.

أما العامل الآخر الذي زاد من الحاجة للتراجم فتمثّل في العدد الهائل من الرحلات الاستكشافية للأقاليم "الجديدة" في القرن السادس عشر، حيث كان قدر المستكشفين الإسبان لقاء شعوب تتكلم لغات عديدة - وليس لغة واحدة فحسب - لا يفقهونها. فكانوا يأسرون أعدادا هائلة من السكان المحليين ويرسلونهم إلى إسبانيا بغية تعليمهم اللغة والثقافة الإسبانية. اضطلع التراجم من السكان المحليين خلال هذه الفترة بدور فعال في تحقيق التواصل وتشكيل الوجه الجديد للعالم مثلما نعرفه اليوم.

### من الترجمة التتابعية إلى الترجمة الفورية

كانت اللغة اللاتينية إلى غاية القرن السابع عشر لغة الدبلوماسية في أوروبا، و كان على كل الدول أن تركّز تعليمها للغات الأجنبية على هذه اللغة قصد تحقيق استمرارية العلاقات الدبلوماسية فيما بينها. لكن عندما بزغ نجم فرنسا باعتبارها القوة الأولى في أوروبا، فرضت اللغة الفرنسية نفسها لغة اتصال وتواصل في إطار الدبلوماسية الأوروبية، ومنه تقلّصت الحاجة للترجمة الشفهية وتراجعت.

بعيد الحرب العالمية الأولى<sup>1</sup>، كانت الحاجة ملحة لإعادة تعميم أوروبا التي دمرتها الحرب وإعادة تنظيم الدول من خلال إعادة رسم الحدود. ومن أجل كل هذا، كان ينبغي التفاوض بشأن اتفاقيات وإعادة بناء التحالفات وتأمين التعاون من خلال استحداث منظمات من شأنها التقليل من عملية التسلح وفك النزاعات تجنباً لحرب عالمية ثانية. كان مؤتمر باريس للسلام<sup>2</sup>، الذي تمخض عنه ما يسمى بمعاهدة "فرساي" التي فرضت عقوبات شديدة على ألمانيا وحلفائها، من أهم بوادر تنظيم مهنة الترجمة الشفهية حيث شهد العالم مرحلة جديدة من العلاقات الدولية بميلاد عصبة الأمم التي أدرج نص تأسيسها في الجزء الأول من المعاهدة في 25 جانفي 1919.

منذ ذلك الوقت فقدت اللغة الفرنسية هيمنتها التي دامت قرابة ثلاثة قرون، مما أدى إلى تبني اللغة الإنجليزية إلى جانب اللغة الفرنسية لغتين رسميتين للمؤسسات التي تمخّضت عن مؤتمر باريس.

### الترجمة التتابعية (Consecutive Interpretation)

برز خلال هذه الفترة عدد محدود من الدبلوماسيين والإداريين بالنظر إلى تحكّمهم الكامل في لغتين على الأقل، حيث قرر بعضهم تبني الترجمة التتابعية كمهنة بصفتهم مستقلين غير دائمين. وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن الدبلوماسيين كانوا في تلك الحقبة، وحتى قبل مؤتمر السلام، يقومون مقام الوسطاء اللغويين بين الدول بالنظر لتحكّم السفير أو المبعوث الخاص، على سبيل المثال لا الحصر، في لغة البلد الذي يقيم فيه إضافة إلى تحكّمه في لغته الأم.

1. 1914 - 1918.

2. (18 - 21 جانفي 1919) ويسمى أيضا مؤتمر الصلح.

في ذلك الوقت كانت الترجمة التتابعية هي القاعدة العامة المعمول بها في إطار الاجتماعات الدولية<sup>1</sup>، وكانت تمارس من قبل هؤلاء الدبلوماسيين والإداريين إضافة إلى مجموعة صغيرة من الضباط ذوي المستوى الفذ والأداء العالي.

وخلال المفاوضات التي عقبته الهدنة<sup>2</sup> كان التراجم يعملون أساسا باللغتين الإنجليزية والفرنسية، في حين كانت المفاوضات مع الألمان تجري على جانب بمعية تراجم ألمان من بين الضباط الشباب الضليعين في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية. وهنا، ننتقل شيئاً فشيئاً من الترجمة التتابعية "جملة بجملة" إلى ترجمة تتابعية "حقيقية" حيث كان التراجم يعملون في شكل فرق مكوّنة من ترجمانيين اثنين يقومان بترجمة خطابات كانت تدوم أحياناً ساعة بأكملها، وهو ما يسميه البعض "مآثر الترجمة الشفهية" في حين يسميه البعض الآخر "جنون الترجمة الشفهية".

كان "بول مونتو"<sup>3</sup> (Paul Mantoux)، الأديب الفرنسي الذي كان يشغل منصب مدرّس لتاريخ فرنسا في لندن، أول من ترك بصماته على تاريخ مهنة الترجمة التتابعية بالنظر إلى تحكّمه الكبير في اللغتين الفرنسية والإنجليزية. وفي سنة 1917 أصبح "بول مونتو" المترجمان الرسمي للمؤتمرات الدولية التي تجري فعاليتها باللغة الفرنسية والإنجليزية، واضطلع بدور طلائعي في إطار محادثات مؤتمر السلام في باريس بوصفه أحد التراجم الأساسيين.

1. الجدير بالذكر في هذا السياق أن "ترجمة الوصل" (Liaison Interpretation) هي أقدم أشكال الترجمة من الناحية التاريخية.

2. بين الحلفاء والإمبراطورية الألمانية في 11 نوفمبر 1918.

3. (1877 - 1956).

أما المترجمان الثاني الذي سجّل اسمه بأحرف من ذهب في تاريخ الترجمة الشفهية فهو المستشرق الفرنسي "جون هربر" <sup>1</sup> (Jean Herbert) الذي كان يعتبر "بول مونتو" بمثابة معلمه ومرشده، والذي خاض أول تجربة له في الترجمة سنة 1917. لم يكن "جون هربر" أحد أعمدة جيله من التراجم فحسب، بل كان مؤلفا للعديد من الكتب حول الديانات الشرقية، وهو أيضا صاحب كتاب :

Manuel de l'interprète : comment on devient interprète de "conférences" الشهير الذي ألفه سنة 1952 والمترجم إلى عدة لغات، بما فيها اللغة الإنجليزية تحت عنوان :

« The Interpreter's Handbook : How to Become a Conference Interpreter » والذي يعتبر مرجعا لا غنى عنه بالنسبة للمكونين في مجال الترجمة الشفهية.

تميّزت مجموعة أخرى من التراجم المستقلين الأحرار الذين كانوا يعملون بشكل منتظم، لكن غير حصري، لدى بعض المؤسسات والهيئات والمنظمات ومكاتب المحاماة. وبالموازاة مع ذلك، كان هؤلاء يمارسون مهنا أخرى مثل تدريس اللغات وتأليف الكتب حول الترجمة واللغات.

كثّف ظهور أهمّ الهيئات الدولية، على غرار منظمة العمل الدولية<sup>2</sup>، خلال الحربين العالميتين من مستوى الاتصالات بين الدول بشكل واضح مما أوجب استحداث مصالِح للترجمة بمختلف لغات العمل. ومن ثمة، باتت الترجمة الشفهية حرفة ومهنة مستقلة بذاتها

---

1. (1897 - 1980).

2. تأسست عام 1919 ومقرها مدينة "جنيف" في "سويسرا". تعتمد على ركيزة دستورية أساسية وهي أن السلام العادل والدائم لا يمكن أن يتحقق إلا إذا استند على العدالة الاجتماعية.



بفضل مجموعة من التراجم التتابعيين. كان هذا بمثابة ميلاد نمط جديد من الترجمة الشفهية تحكمه مجموعة من القواعد الذهنية والآليات الفكرية لا يتميز بها جميع الناس.

### الترجمة الفورية (Simultaneous Interpretation)

نتج عن الاجتماعات التي كانت تعقد في إطار هذه الهيئات الدولية جلسات لا متناهية حيث كان البيان الذي يستغرق ساعة واحدة يستوجب ساعتين إضافيتين لكي يترجم إلى لغتين اثنتين. وكان هذا سببا في تجريد الأشغال من كل عفوية. وفي ظل هذه العوائق التي واجهت المؤتمرات والاجتماعات الدولية، من خلال إتباع تقنية الترجمة التتابعية، ظهرت العديد من المحاولات بغية استحداث نمط جديد من الترجمة الشفهية من شأنه الاقتصاد في الوقت وإعطاء المتدخلين المزيد من الحرية أثناء تناولهم الكلمة لمزيد من العفوية.

ظهر هذا النمط من التقنية بشكل متزامن في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الاتحاد السوفييتي، وقد انطوى على وصل الخطيب بالترجمان وهذا الأخير بالحضور عن طريق نظام معقد من الكابلات والميكروفونات والسماعات.

اقترن تاريخ ميلاد الترجمة الفورية باسم محاكمات "نورنبرغ"<sup>1</sup> (Nuremberg Trials) كأول نموذج تُطبَّق فيه الترجمة الفورية، وهذا ما يعتقده الكثير من الناس بالنظر للآثار العميقة التي خلفتها على المهنة لأن كل تعقيدات التقنية الجديدة كانت قد حلت آنذاك. في حين أن مفهوم

---

1. 20 نوفمبر 1945 - 1 أكتوبر 1946. تناولت المحاكمات مجرمي حرب القيادة النازية بعد سقوط الرايخ الثالث، ثم الأطباء الذين أجروا التجارب الطبية على البشر.

الترجمة الفورية ولد في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1924، على الرغم من أن الطلب عليها ظل محدودا لفترة طويلة.

كانت شركة IBM (International Business Machines)<sup>1</sup> أول شركة تصمم وتصنع جهاز الترجمة الفورية، إلا أنه لم يحظ في شكله الأول بالشعبية الكبيرة. لذلك، أوكل الأمريكيون مهمة تطوير تكنولوجيا الترجمة الفورية الجديدة إلى العقيد "ليون دستر"<sup>2</sup> (Dostert Leon)، الذي عمل كترجمان للرئيس "دوايت ديفيد أيزنهاور"<sup>3</sup> (Dwight David Eisenhower)، حيث نظمت أول حصة تجريبية بخصوص التقنية المطورة في صيغتها الجديدة سنة 1946 خلال دورة منظمة الأمم المتحدة الخريفية، تبعثها محاولة أخرى سنة 1947 بمناسبة انعقاد الجمعية العامة.

وفي نفس السنة، صادقت منظمة الأمم المتحدة على لائحتها رقم 152 المؤسسة لمصلحة الترجمة الفورية ضمن مصالحها الأممية الدائمة مع الإبقاء على نفس الفريق الذي عمل خلال الجمعية الأولى بأكمله تقريبا بإشراف "جون هربر"، وتعززت لاسيما بعد وصول التراجم الفوريين بإشراف العقيد "دستر". وكان لـ"جون هربر" فضل كبير على المهنة، إذ بعد الحرب العالمية الثانية أوكلت إليه دون سواه مهمة إدارة أول المصالح الخاصة بالترجمة الفورية في إطار منظمة الأمم المتحدة. فخبرته وشخصيته الاستثنائية مكنته من فرض نفسه ووضع التراجم في إطار ومستوى قانوني ومجازاتهم بأجور يحسدون عليها إلى غاية يومنا هذا.

---

1. شركة عالمية متعددة الجنسيات تعمل في مجال تصنيع وتطوير الحواسيب والبرمجيات مقرها مدينة "نيويورك" في الولايات المتحدة الأمريكية.

2. (1904 - 1971).

3. (14 أكتوبر 1890 - 28 مارس 1969)، الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، حكمها من سنة 1953 إلى سنة 1961.

باتت منظمة الأمم المتحدة اليوم توفر الترجمة الفورية باللغة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية والروسية والعربية. في حين يقدم الاتحاد الأوروبي هذه الخدمات بلغات دوله الأعضاء الثمانية والعشرون، وهذا ما ينطوي على أكثر من مائة تركيبة لغوية مما يعقد من عملية التخطيط لترجمة المؤتمرات إلى درجة الاستعانة بالحواسيب.

بمرور الزمن، بات اختراع هذا الجهاز الجديد الخاص بتقنية الترجمة الفورية - بعد تحسين أدائه - الصيغة المفضلة لدى العديد من المنظمات الدولية التي تعقد اجتماعاتها ولقاءاتها بلغات مختلفة، حيث شغلت الترجمة الفورية حيزًا كبيرًا إلى درجة أنها حلّت اليوم محلّ الترجمة التتابعية التي أصبحت تستعمل فقط في المناسبات الخاصة مثل المآدب واللقاءات الثنائية، أو عند عدم توفر أجهزة الترجمة الفورية في قاعات المؤتمرات التي أصبحت جلّها اليوم مزوّدة بنظام كامل ومتطور للترجمة الفورية.

## خاتمة :

اضطلع الترجمان منذ اختلاط الألسن وتعدّد اللغات بدور أساسي بصفته وسيطا لا غنى عنه بين المتحدثين بلغات مختلفة قصد تحقيق عملية الاتصال والتواصل بين بني البشر، سواء تعلق الأمر بلغة الأغلبية أو لغة الأقلية، على الرغم من تعقيد العملية. غير أن الترجمة الشفهية لا تقتصر على كونها قناة تواصل بين الأشخاص باختلاف أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية فحسب، بل هي عملية بناء جسور ثقافية بين الشعوب باختلاف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم.

وعلى الرغم من كل الانجازات التي تحقّقت بين مختلف شعوب المعمورة في شتى الميادين بفضل التراجم، بقي الترجمان يسهم في تحقيق هذه الانجازات في الخفاء وبعيدا عن الأضواء. وقد يرجع ذلك إلى أن الترجمة الشفهية مورست في البداية من طرف أشخاص لم يختاروا التوجّه نحو الترجمة الشفهية كخيار إرادي يندرج ضمن اهتماماتهم الخاصة ونظرتهم المستقبلية، بل كثير منهم أكره على ذلك أو - في أحسن الحالات - وضعت الصدفة في طريق هذا النشاط، ومن ثمة كان قدرهم أن يتحوّلوا إلى تراجم.

بمرور الزمن، بات الناس يدركون الأهمية البالغة التي تكتسيها الترجمة الشفهية والدور الحاسم الذي يضطلع به الترجمان في أيام السلم والحرب. ومن ثمة، بدأ التفكير بجدية في تحويل هذا النشاط من مجرد نشاط عابر وظرفي إلى حرفة لا يمتنها إلا من يمتلك ناصية اللغة ومؤهلات ترافقها وتعزّزها كشرط أساسي للنجاح. وهذا ما دفع بالكثير من ممارسيها إلى تأطيرها وتوجيهها وجهتها التي تستحقّها حتّى بلغت ما بلغته تنظيرا وتطبيقا.

## قائمة المراجع والمصادر :

1. Andronikof, C., 1962. '*Servitudes et grandeur de l'interprète*', Babel, Berlin, Langenscheidt,.
2. Delisle, J., 1995. '*Translators Through History*', Philadelphia: John Benjamins Publishing,
3. Gaiba, F., 1998. '*Origins of Simultaneous Interpretation: the Nuremberg Trial*', Ottawa: Ottawa University Press,
4. Herbert J., 1952. '*The Interpreter's Handbook, How to Become a Conference Interpreter*', Librairie de l'Université de Georg & Cie S.A. Genève,
5. Keiser, W., 2004. '*L'interprétation de conférence en tant que profession et les précurseurs de l'Association Internationale des Interprètes de Conférence (AIIC) 1918-1953*', in *Meta : journal des traducteurs / Meta: Translators' Journal*, Volume 49, numéro 3, septembre 2004, p. 576-608.
6. Steiner, G., 1975. '*After Babel*', London: Oxford,